عليهم وهم كاملوا العقول ولو كانوا بصفة الاطفال في تلك الحال لم نوجب عليهم
ما اوجبناه على ان تجويز النسيان عليهم ينقض الغرض في الاية وذلك ان الله تعالى
اخبرنا بانه انما قررهم واشهدهم لئلا يدعوا يوم القيمة الغفلة عن ذلك وسقوط
الحجة عنهم فيه فاذا اجاز نسيانهم له عاد الامر الى سقوط الحجة وزواله وان
كانوا على الصفة الثانية من فقد العقل وشرائط التكليف قبح خطابهم وتقريرهم
واشهادهم وصار ذلك عبثا قبيحا تعالى الله عنه فان قيل قد ابطلتم قول مخالفيكم
فما تاويلها الصحيح عندكم قلنا في الاية وجهان احدهما ان يكون تعم انما عنى بها
جماعة من ذرية بني ادم خلقهم وبلغهم واكمل عقولهم وقررهم على السن رسله عليهم السلام
بمعرفته وما يجب من طاعته فاقروا بذلك واشهدهم على انفسهم لئلا يقولوا يوم القيمة انا
كنا عن هذا غافلين او يعتذروا بشرك ابائهم وانما اتى من اشتبه عليه تاويل الاية من
حيث ظن ان اسم الذرية لا يقع الا على من لم يكن عاقلا كاملا وليس الامر كما ظن لانا
نسمي جميع البشر ذرية ادم وان دخل فيهم العقلا الكاملون وقد قال الله تعم ربنا وادخلهم
جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم ولفظ الصالح لا يطلق
الا على من كان عاقلا كاملا فان استبعدوا تاويلنا وحملنا الاية على البالغين المكلفين فهذا
جوابهم والجواب الثاني انه تعم لما خلقهم وركبهم تركيبا يدل على معرفته ويشهد بقدرته
ووجوب عبادته واراهم العبر والايات والدلايل في غيرهم وفي انفسهم كان بمنزلة المشهد
لهم على انفسهم وكانوا في مشاهدة ذلك ومعرفته وظهوره فيهم على الوجه الذي اراده
الله تعالى وتعذر امتناعهم منه وانفكاكهم من دلالته بمنزلة المقر المعترف وان
لم يكن هناك اشهاد ولا اعتراف على الحقيقة وجرى ذلك مجرى قوله تعم ثم استوى الى
السما وهي دخان فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين وان
لم يكن منه تعم قول على الحقيقة ولا منهما جواب ومثله قوله تعالى شاهدين على
انفسهم بالكفر ونحن نعلم ان الكفار لم يعترفوا بالكفر بالسنتهم وانما ذلك لما ظهر
منهم ظهورا لا يتمكنون من دفعه كانوا بمنزلة المعترفين به ومثل هذا قولهم جوارحي
تشهد بنعمتك وحالي معترفة باحسانك وما روي عن بعض الخطبا من قوله
سل الارض من شق انهارك وجنى ثمارك وغرس اشجارك فان لم تجبك حوارا اجابتك
اعتبارا وهذا باب كبير وله نظاير كثيرة في النظم والنثر يغني عن ذكر جميعها القدر
الذي ذكرناه منها تاويل خبر قال ابو عبيد القسم بن سلام فيما يروى عن

النبي صلعم

ليس منا من لم يتغن بالقرآن

النبي صلعم ليس منا من لم يتغن بالقران قال اراد يستغني به واحتج بقولهم تغنيت
تغنيا وتغانيت تغانيا وانشد بيت الاعشى وكنت امرءا زمنا بالعراق
عفيف المناخ طويل التغن وقول الاخر كلانا غني عن اخيه حياته
ونحن اذا متنا اشد تغانيا واحتج ايضا بقول ابن مسعود من قرا سورة آل عمران
فهو غني اي مستغن وبالحديث الاخر نعم كنز الصعلوك سورة آل عمران يقوم بها في
اخر الليل والصعلوك الفقير واحتج بحديث اخر يروى عن النبي صلعم وهو انه قال
لا ينبغي لحامل القران ان يظن ان احدا اعطي افضل مما اعطي لانه لو ملك الدنيا باسرها
لكان القران افضل مما ملكه واحتج ايضا بخبر يرفعه عن عبد الله بن نهيك انه دخل
على سعد بن معاذ بيته فاذا مثال رث ومتاع رث فقال قال رسول الله صلعم ليس منا
من لم يتغن بالقران قال ابو عبيد فذكره المتاع الرث والمثال الرث يدل على ان
التغني بالقران الاستغنا به عن الكثير من المال والمثال هو الفراش قال الشاعر
بكل طويل الساعدين كانما يرى بسرى الليل المثال الممهدا يعني الفراش
قال ابو عبيد ولو كان معناه الترجيع لعظمت المحنة علينا بذلك اذ لو كان من لم يرجع
بالقران فليس منه عم وذكر عن غير ابي عبيد جواب اخر وهو انه عم اراد من لم يحسن صوته
بالقران ويرجع فيه واحتج صاحب هذا الجواب بحديث عبد الرحمن بن السايب قال
اتيت سعدا وقد كف بصره فسلمت عليه فقال من انت فاخبرته فقال مرحبا يا ابن اخي
بلغني انك حسن الصوت بالقران سمعت رسول الله صلعم يقول ان هذا القران
نزل بحزن فاذا قراتموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فمن لم يتغن بالقران فليس منا فتاوله
فابكوا او تباكوا دليل على ان التغني هو التحسن والترجيع وروي عن النبي صلعم انه
قال لا ياذن الله لشي من اهل الارض الا لاصوات المؤذنين والصوت الحسن بالقران
معنى قوله ياذن يستمع له يقال اذنت للشي اذنا اذا استمعت له قال الشاعر
صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا وقال عدي
بن زيد العبادي ايها القلب تعلل بددن ان همي في سماع واذن والاذن هو
السماع وانما حسن تكرير المعنى اختلاف اللفظ وللعرب في هذا مذهب معروف
ومثله وهند اتى من دونها الناي والبعد فاما الددن فهو اللهو واللعب وفيه
لغات ثلاث دد على مثال دم وددا على مثال فتى وددن على مثال حزن ومنه

طوال

Copyright © King Saud University